

الشعر ومكانته في نظر الإسلام

محمد أنوار الحق العظيمي

قال الله تعالى في كتابه المجيد ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون ﴾ (١) يفهم من ظاهر هذه الآيات الكريمة أن الإسلام يعارض الشعر والفن لذاته ويذمه ذما شديدا . ولذلك لما نزلت هذه الآيات الكريمة ذهب حسّان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك - رضي الله عنهم - إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون (٢) . وكما جاء في قوله تعالى ﴿ وما هو بقول شاعر ، قليلا ما تؤمنون ﴾ (٣) ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ﴾ (٤) . تدل هذه الآية على أن الإسلام لا يحب الشعر والممارسة الشعرية أصلا ، وكذلك وردت أحاديث صحيحة في ذم الشعر مما يدل على أن الإسلام لا يشجع نظم الشعر وإنشاده ، كما روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خيرا له من أن يمتلئ شعرا » (٥) وكما روى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لأن يمتلئ

جوف أحدكم قيحا يريه خيراله من أن يمتلى شعرا « (٦) وأيضاً روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج إذ عرض شاعر ينشد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان ، لأن يمتلى جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلى شعرا » (٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأن يمتلى جوف رجل قيحا خير من أن يمتلى شعرا » (٨) .

وفي جانب آخر وردت أحاديث صحيحة تحث على نظم الشعر وإنشاده ، كما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان رضي الله عنه : « أهجهم أو قال هاجهم وجبرئيل معك » . وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : « الله عز وجل قد أنزل في الشعراء ما أنزل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل » (٩) . وجاء في الحديث الشريف : « إن من البيان سحرا وإن من الشعر حكما » (١٠) « وإن من البيان لسحرا » . وإن من الشعر حكمة » (١١) وعن البراء قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة لحسان بن ثابت رضي الله عنه : « أهج المشركين فإن جبرئيل معك » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان : « أجب عنى اللهم أيده بروح القدس » (١٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل » (١٣) .

ومن أجل ذلك اختلف العلماء القدامى والمتأخرون في

جواز نظم الشعر وإنشاده ، فقال بعضهم : لا بأس بنظم الشعر وإنشاده وروايته ، وطائفة تكره نظم الشعر وإنشاده وروايته . ويجد أن طائفة تزعم في كل عصر من العصور حتى في العصر الحاضر أن ممارسة الشعر أمر قبيح ومذموم في نظر الإسلام . فهدف هذا المقال هو مناقشة هذه الآراء من وجهة النظر الإسلامية .

وقبل الخوض في صميم البحث يجدر بنا أن نعرف الشعر ونذكر موجزا عن منزلة الشعر والشعراء عند العرب قبل الإسلام .

« الشعر هو الكلام الموزون المقفى المعبر عن الأخيلة البديعة والصور المؤثرة البليغة » (١٤) . فالعرب أشعر الساميين فطرة ، وأبلغهم على الشعر قدرة ، لاتساع لغتهم للقول ، وملائمة بيئتهم للخيال ، وصفاء قريحتهم ، وسداجة معيشتهم ، وقوة عصبيتهم ، وكمال حريرتهم ، وخلو جزيرتهم مما يصد الفكر عن التأمل ، ويعوق الذهن عن التفكير . وهم فوق ذلك ذوو نفوس شاعرة ، وطباع نائرة ، يستفزهم الرغب والرهب ، ويزدهيهم الطرب والغضب ، فلم يتركوا شيئا يجول في النفس أو يقع تحت الحس إلا نظموه فكان الشعر ديوان علومهم وحكمهم وسجل وقائعهم وسيرهم ، وشاهد صوابهم وخطأهم . وكل قبيلة كانت ترغب في أن يكون لها شاعر وقائد وخطيب ، ولكن الشاعر كان أكرم عليها وأحب إليها من هذين . فكانت إذا نبغ فيها شاعر تصنع الولاثم وتقيم الأفراح وتهنئها القبائل . وذلك لأن الشعراء يقودون قومهم بقولهم ، وينضحون عنهم يوم حفلهم ، ويخلدون مآثرهم على الدهور ، وينقشون مفاخرهم في الصدور ، لا يبتغون على ذلك جزاء ولا صلة »

ولقد كان المشركون يقولون عن القرآن أحيانا : إنه شعر ويقولون عن النبي صلى الله عليه وسلم : إنه شاعر وهم في حيرتهم كيف يواجهون هذا القول الذي لا يعرفون له نظيرا ، والذي يدخل إلى قلوب الناس ، ويهز مشاعرهم ، ويغلبهم على إرادتهم من حيث لا يملكون له ردا . فجاء القرآن الكريم يبين لهم أن منهج محمد صلى الله عليه وسلم ومنهج القرآن غير منهج الشعراء ومنهج الشعر أصلا . فإن هذا القرآن يستقيم على نهج واضح ، ويدعو إلى غاية محددة ويسير في طريق مستقيم إلى هذه الغاية ، والرسول صلى الله عليه وسلم لا يقول اليوم قولا ينقضه غدا ، ولا يتبع أهواء ولا هواجس نفسية ، إنما يصر على دعوة ، ويثبت على عقيدة ، ويدأب على منهج لا عوج فيه . والشعراء ليسوا كذلك وإنما هم أسرى الانفعالات والعواطف المتقلبة ، تتحكم فيهم مشاعرهم وتقودهم إلى التعبير عنها كيف ما كانت . ويرون الأمر الواحد في لحظة أسود وفي لحظة أبيض . يرضون فيقولون قولا ، ويسخطون فيقولون قولا آخر . ثم هم أصحاب أمزجة لا تثبت على حال ! هذا إلى أنهم يخلقون عوالم من الوهم يعيشون فيها . ويتخيلون أفعالا ونتائج ثم يخالونها حقيقة واقعة يتأثرون بها . فيقلّ اهتمامهم بواقع الأشياء ، لأنهم يخلقون في خيالهم واقعا آخر يعيشون عليه !

وأما صاحب الدعوة الذي يريد تحقيقها في عالم الواقع ودنيا الناس فيختلف عن هذا الوضع اختلافا تاما . فلصاحب الدعوة هدف وله منهج وله طريق . وهو يمضي في طريقه على منهجه إلى هدفه مفتوح العين ، مفتوح القلب ، يقظ العقل ، لا يرضى بالوهم ، ولا يعيش بالرؤى ، ولا يقنع بالأحلام ،

حتى تصبح الدعوة واقعا في عالم الناس .
 فمنهج الرسول صلى الله عليه وسلم يختلف عن منهج الشعراء تماما لا شبهة في ذلك فالأمر واضح صريح .
 إن الشعراء يهيمنون في كل واد من وديان الفكر والتصوّر والقول ، وفق العواطف التي تسيطر عليهم في لحظة من اللحظات تحت وقع مؤثر من المؤثرات . وهم يقولون مالا يفعلون . لأنهم يعيشون في عوالمهم من صنع خيالهم ومشاعرهم ، يؤثرونها على واقع الحياة الذي لا يعجبهم ، ومن ثم يقولون أشياء كثيرة ولا يفعلونها ، لأنهم عاشوها في تلك العوالم الموهومة ، وليس لها واقع ولا حقيقة في دنيا الناس المنظورة .

إن طبيعة الإسلام وهو منهج حياة كامل معد للتنفيذ في واقع الحياة ، وهو حركة ضخمة في الضمائر المكنونة وفي أوضاع الحياة الطاهرة . إن طبيعة الإسلام هذه لا تلائمها طبيعة الشعراء كما عرفتهم البشرية في الغالب . لأن الشاعر يخلق حكما في حسه ويقنع به . وأما الإسلام فيريد تحقيق العلم ويعمل على تحقيقه ، ويحول المشاعر كلها لتحقيق في عالم الواقع ذلك النموذج الرفيع . ويريد الإسلام مواجهة الحقائق وعدم الهروب منها إلى الخيال إلى الموهوم . فإذا كانت هذه الحقائق لا تعجبهم ، ولا تتفق مع منهجه الذي يأخذهم به ، دفعهم إلى تغييرها ، وتحقيق المنهج الذي يريد . ومن ثم لا تبقى في الطاقة البشرية بقية للأحلام الموهومة الطائرة . فالإسلام يستغرق هذه الطاقة في تحقيق الأحلام الرفيعة ، وفق منهجه الضخم العظيم .

ومع هذا فإن الإسلام لا يحارب الشعر والفن لذاته كما

قد يفهم من ظاهر الألفاظ - وإنما يحارب المنهج الذي سار عليه الشعر والفن - منهج الأهواء والانفعالات التي تشغل أصحابها عن تحقيقها . فأما حين تستقر الروح على منهج الإسلام . وتنفتح بتأثيراتها الإسلامية شعرا وفنا ، وتعمل في الوقت ذاته على تحقيق هذه المشاعر النبيلة في دنيا الواقع ، ولا تكتفي بخلق عوالم وهمية تعيش فيها ، وتدع واقع الحياة كما هو مشوها متخلفا قبيحا !

وأما حين يكون للروح منهج ثابت يهدف إلى غاية إسلامية ، وحين تنظر إلى الدنيا فتراها من زاوية الإسلام ، وفي ضوء الإسلام ، تعبر عن هذا كله شعرا وفنا . وحين ذلك يجد أن الإسلام لا يكره الشعر ولا يحارب الفن ، كما قد يفهم من ظاهر الألفاظ . ولقد وجه القرآن القلوب والعقول إلى بدائع هذا الكون ، وإلى خفايا النفس البشرية . وهذه وتلك هي مادة الشعر والفن . وفي القرآن وقفات أمام بدائع الخلق والنفس لم يبلغ إليها شعر قط في الشفافية والنفاز والاحتفال بتلك البدائع وذلك الجمال .

ومن ثم يستثني القرآن الكريم من ذلك الوصف العام للشعراء : «... الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعدما ظلموا » فاستثنى من الوصف العام أولئك الذين آمنوا فامتألت قلوبهم بعقيدة ، واستقامت حياتهم على منهج . وعملوا الصالحات فالتجته طاقاتهم إلى العمل الخير الجميل ، ولم يكتفوا بالتصورات والأحلام . وانتصروا من بعدما ظلموا . فكان لهم كفاح ينفثون فيه طاقتهم ليصلوا إلى نصره الحق الذي اعتنقوه . ومن هؤلاء الشعراء الذين نافحوا عن العقيدة وصاحبها في إبان المعركة مع الشرك والمشركين على

عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم من شعراء الأنصار . ومنهم عبد الله بن الزبيري ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وقد كانا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم في جاهليتهما ، فلما أسلما حسن إسلامهما ومدحا رسول الله وناقحا عن الإسلام (١٦) .

فأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى :
 ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون ﴾ غلط وسوء تأويل ، لأن المقصودين بهذا النص هم شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ومسوه بالأذى ، فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخلين في شيء من ذلك . فقد استثناهم الله عز وجل ونبه عليهم فقال : ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا ﴾ . ومعنى الآية : والشعراء يحاربهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون الضالون عن السنن الحائرون فيما يأتون وما يذرون ولا يستمرون على وتيرة واحدة في الأفعال والأقوال والأحوال ، ألم أتر أن الشعراء في كل واد من أودية القول والقال وفي كل شعب من شعاب الوهم والخيال ، وفي كل مسلك من مسالك الغي والضلال يهيمون على وجوههم ، لا يهتدون إلى سبيل معين من السبل بل يتحирون في سياسب الغواية والسفاهة ويتيهون في تيه الصلف والوقاحة .

وقد قيل في تنزيهه صلى الله عليه وسلم عن أن يكون من الشعراء لأن أتباع الشعراء هم الغاوون ، وأتباعه عليه الصلاة والسلام ليسوا كذلك . وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن

الغاوين هم الرواة الذين يحفظون شعر الشعراء ويروون عنهم
مبتهجين به . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا أن
الآية نزلت في شعراء المشركين عبد الله بن الزبيري ، وهبيرة
بن وهب المخزومي ، ومسافع بن عبد مناف ، وأبو عزة الجمحي ،
وأمية بن أبي الصلت قالوا : نحن نقول مثل قول محمد وكانوا
يهجونه ويجمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعون أشعارهم
وأهاجيهم وهم الغاؤون الذين يتبعونهم .

﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا
وانتصروا من بعد ما ظلموا ﴾ استثناء للشعراء المؤمنين
الصالحين الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون أكثر
أشعارهم في التوحيد والثناء على الله سبحانه وتعالى والحث
على الطاعة والحكمة والموعظة والزهد في الدنيا والترهيب عن
الركون إليها والاعتزاز بزخارفها والافتتان بملاذها الغالية ،
والترغيب فيما عند الله تعالى ونشر محاسن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومدحه وذكر معجزاته ليتغلغل حبه في سويداء
قلوب السامعين وتزداد رغبتهم في أتباعه ونشر مدائح آله
وأصحابه وصلحاء أمته ونحو ذلك .

ولو وقع منهم في بعض الأوقات هجو وقع بطريق
الانتصار ممن هجاهم من غير اعتداء ولا زيادة . فالمراد بالمستثنين
شعراء المؤمنين الذين ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويكافحون هجاء المشركين . وعن قتادة أن هذه الآية
نزلت في رهط من الأنصار هاجوا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم منهم كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وحسان
بن ثابت . ولما نزلت « والشعراء ... » الآية جاء عبد الله بن
رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وهم يكون فقالوا :

يا رسول الله لقد انزل الله تعالى هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء ، هلكنا فأنزل الله تعالى : ﴿ إلا الذين آمنوا ... ﴾ الخ الآية . فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاها عليهم (١٧) . وقد قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم : « هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل » . وقال لحسان بن ثابت : « أهجهم يعنى قريشا فو الله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام ؟ في غلس الظلام ، أهجهم ومعك جبرئيل روح القدس ، والتق أبابكر يعلمك تلك الهنات » (١٨) .

وأن الرسول صلى الله عليه وسلم حينما اشتد عليه أذى قريش بالهجاء فهاج ذلك من شاعرية المسلمين وودوا لو بأذن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم للتجاوب عنه ، فما هو إلا أن قال لهم : « ماذا يمنع الذين نصروا الله ورسوله ، بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم ؟ » حتى نهض للقرشيين نفر من الصحابة ، فيهم حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة .

ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان : « كيف تهجوهم وأنا منهم فقال : أسلك منهم كما تسلك الشعرة من العجين » فقال : أهجهم ومعك روح القدس » (١٩) .

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت حين جاوب عنه أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بقوله : هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جزاؤك عند الله الجنة يا حسان » .

فلما قال :

فإن أبى ووالدتى وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

فبشره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة مرتين في لحظة واحدة بسبب شعره (٢٠) .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن ، ومن لم يوافق الحق فلا خير فيه » . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « إنما الشعر كلام ، فمن الكلام خبيث وطيب » . وقالت عائشة رضي الله عنها : « الشعر فيه كلام حسن وقبيح ، فخذ الحسن واترك القبيح » .

ويروى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى لحسان بن ثابت في المسجد منبرا ينشد عليه الشعر (٢١) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه « الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه » (٢٢) . وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه « مر من قبلك بتعليم الشعر ، فإنه يدل على معالي الأخلاق ، وصواب الرأي ومعرفة الأنساب » (٢٣) . وعن علي رضي الله عنه « الشعر ميزان العقول » (٢٤) .

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول : « إذا قرأتم شيئا من كتاب الله تعالى فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب ، فإن الشعر ديوان العرب » (٢٥) .

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يسخر ممن يكره الشعر . وكان إذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعرا (٢٦) . وكانت عائشة رضي الله عنها كثيرة الرواية للشعر . يقال أنها تروى جميع شعر لبيد . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين » (٢٧) . وقال

ابن سيرين : « الشعر كلام عقد بالقوافي ، فما حسن في الكلام حسن في الشعر ، وكذلك ما قبح منه » .

إن سعيد بن المسيب يعيب من يكره الشعر حينما ذكر عنده أن قوما بالعراق يكرهون الشعر ، فقال نسكوانه أعجميا (٢٨) وروى الإمام البخارى في مصنفه : « أدب المفرد » عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشعر بمنزلة الكلام ، حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام » (٢٩) .

وجدير بالذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن كاهنا ولا شاعرا ، لأن حاله مناف لحالهم من وجوه ظاهرة ، ولكن المشركين يعاندون الدلائل الظاهرة ، ويزعمون الرسول - صلى الله عليه وسلم شاعرا والقرآن « شعرا » فيقول الله عز وجل : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » مخبرا عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه ما علمه الشعر ، « وما ينبغي له » أي ما هو في طبعه فلا يحسنه ولا يحبه ولا تقتضيه جبلته ، ولهذا ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يحفظ بيتا على وزن منتظم ، بل أنشده زحفه أو لم يتمه . قال الشعبي : ما ولد عبد المطلب ذكرا أو أنثى إلا يقول الشعر ، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٠) . وعن الحسن البصرى قال : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت : « كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا » . فقال أبو بكر رضي الله عنه : « يا رسول الله ، كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا » فقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما : « أشهد أنك رسول الله ، يقول الله تعالى : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » (٣١) . وروى الأموي في مغازيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل

يمشى بين القتلى يوم بدر ، وهو يقول : «نفلق هاما» ، «فيقول
الصديق رضي الله عنه متمما للبيت :

... من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما (٣٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا استراب الخبر تمثل فيه بيت طرفة :
«ويأتيك بالأخبار من لم تزود»، (٣٣) .

وهو في شعر طرفة بن العبد في معلقته الشهيرة :
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم تمثل يوم
حفر الخندق بأبيات عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ، ولكن
تبعنا لقول أصحابه رضي الله عنهم فإنهم كانوا يرتجزون وهم
يحفرون فيقولون :

لاهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لا قبينا

إن أولاء قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

ويرفع صلى الله عليه وسلم صوته بقوله : «أبينا»
ويمدها ، وقد روى هذا بزحاف في الصحيحين أيضا . وكذا
ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين وهو راكب البغلة
يقدم بها نحور العدو :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وكذلك ما ثبت في الصحيحين عن جندب بن عبد الله
رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غار ، فنكبت أصبعه ، فقال صلى الله عليه وسلم :

هل أنت إلا إصبع دميت

وفي سبيل الله ما لقيت (٣٤)

ولكن هذا وقع اتفاقا من غير قصد لوزن الشعر لمزيد فصاحته وسلاسته ولم يأت به لقصد النظم ، ولا ينبغي له وحاشاه ثم حاشاه أن يأتي بكلام منظوم لقصد النظم إذ لا يخفي على الأغبياء من العجم فضلا عن بلغاء العرب أن القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ليس على أساليب الشعر فرمى بعض المستشرقين النبي صلى الله عليه وسلم بأنه عليه السلام كان شاعرا ، بهتان عظيم (٣٥) .

وكل هذا لا ينافي كونه صلى الله عليه وسلم ما علم شعرا وما ينبغي له ، فإن الله تعالى علمه القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من العزيز الحميد تذكيرا للمشركين ، وليس هو بشعر كما زعمه طائفة من جهلة كفار قريش ، ولا كهانة ولا سحر يؤثر ، كما تنوعت فيه ، أقوال الضلال وآراء الجهال . وقد كانت سجيته صلى الله عليه وسلم تأبى صناعة الشعر طبعاً وشرعاً .

فيقول الله عز وجل ردا على زعمهم : ﴿ إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر ، قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن ، قليلا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين ﴾ (٣٦) .

وقد نظم وأنشد كل من الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم الشعر ، وكثير من أجلاء الصحابة رضي الله عنهم والتابعين والفقهاء المشهورين . فمن شعر أبي بكر رضي الله عنه :

رسول أتاهم صادق فتكذبوا

عليه قالوا لست فينا بما كـ
ومن شعر عمر رضي الله عنه وكان من أنقذ أهل زمانه
للشعر وأنفذهم فيه معرفة :
توعدني كعب ثلاثا بعدما
ولا شك أن القول ما قاله كعب
وما بي خوف الموت اني لميت
ولكن خوف الذنب يتبعه الذنب
ومن شعر عثمان رضي الله عنه :
غنى النفس يغني النفس حتى يكفها
وإن عضها حتى يصر بها الفقر
ومن شعر علي كرم الله وجهه وكان مجودا حتى قيل :
إنه أشعر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم يذكرهم همدان
ونصرهم إياه في صفين :
لما رأيت الخيل تزحم بالقنا
تواصيها حمر النحور دوامى
ونادى ابن هند والكلاع وحمير
وكندة في لخم وحي وجذام
تيممت همدان الذين هم هم
إذا ناب دهر جنتى وسهامى
وقد جمعوا مانسب إليه رضي الله عنه من الشعر في
ديوان كبير ولا يصح منه إلا اليسير .
ومن شعرا طمة رضي الله عنها قالت يوم وفاة أبيها عليه
الصلاة والسلام : (٣٧)
ماذا على من شمم تربة أحمد

أن لا يشم مدى الزمان غواليا
 صبت عليّ مصائب لو أنها
 صبت علي الأيام صرن لياليا
 وكان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ينشد هذين
 البيتين (٣٨)

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا
 تقل خلوت ولكن قل علي رقيب
 ولا تحسبن الله يغفل ساعة
 ولا أن ما تخفي عليه يغيب

وقد نظم الشعر جل أهل العلم من كبار الصحابة رضي
 الله عنهم والتابعين والفقهاء المشهورين ، فمنهم عبد الله بن
 الزبير وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما وعمر بن عبد العزيز
 ومحمد بن إدريس الشافعي (٣٩) . والقاضي شريح والفقهاء
 العتبي رحمهم الله وكذلك تعلم الشعر جل أهل العلم من
 بلاد فارس والهند والبنغال بلغاتهم ما يحث المسلمين على
 اتباع الكتاب والسنة . وأشهرهم الشيخ جلال الدين الرومي ،
 والشيخ عبد الرحمن الجامي ، والشيخ فريد الدين عطار ،
 والشيخ مصلح الدين الشيرازي المشتهر بسعدي الذين نظموا
 بالفارسية ، ومولانا محمد علي جوهر ، وأكبر الإله آبادي ،
 وشاعر الشرق الفيلسوف الدكتور محمد إقبال الذين نظموا
 بالأردية . وقد نظم الدكتور محمد إقبال بالأردية والفارسية
 كليهما ونظم القاضي نذر الإسلام وفروخ أحمد بالبنغالية .
 وقد اختلف العلماء في جواز نظم الشعر وإنشاده مطلقا .
 فقال الشعبي وعامر بن سعد البجلي ومحمد بن سيرين وسعيد
 بن المسيب والقاسم والثوري والأوزاعي وأبو حنيفة ومالك

والشافعي وأحمد وأبو يوسف ومحمد وإسحاق وأبو ثور وأبو عبيد
لا بأس بإنشاد الشعر الذي ليس فيه هجاء ولا نكب عرض على
أحد من المسلمين ولا فحش . وقال مسروق بن الأجدع
وإبراهيم النخعي وسالم بن عبد الله والحسن البصري وعمرو بن
شعيب تكره رواية الشعر وإنشاده . واحتجوا في ذلك بحديث
عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا خيرا له من أن
يتمتلىء شعرا » .

وأجاب الأولون عن هذا الحديث والأحاديث التي وردت
في ذم الشعر ، فقالوا : « إن هذه الأحاديث وردت حول نوع
خاص من الشعر وهو أن يكون فيه فحش وخناء .

وقال البيهقي عن الشعبي ان المراد به الشعر الذي هجى
به النبي صلى الله عليه وسلم . وقال أبو عبيدة الذي فيه عندي
غير ذلك ، لأن ما هجى به رسول الله صلى الله عليه وسلم
شطر بيت لكان كفرا . ولكن وجهه عندي أن يمتلىء قلبه حتى
يغلب عليه فيشغله عن القرآن والذكر . قيل فيما قاله أبو عبيدة
نظر ، لأن الذين هجوا النبي صلى الله عليه وسلم كانوا كفارا
وهم في حال هجوهم موصوفون بالكفر من غير هجو ، غاية ما
في الباب فقد زاد كفرهم وطغيانهم بهجوهم ، والذي قاله
الشعبي أوجه .

يقول بدر الدين العيني : قال الطحاوي : قال قوم لو
كان أريد بذلك ما هجى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الشعر لم يكن لذكر الامتلاء معنى ، لأن قليل ذلك وكثيره
كفر . ولكن ذكر الامتلاء يدل على معنى في الامتلاء ليس
فيما دونه . قالوا فهو عندنا يدل على الشعر الذي يملأ الجوف

فلا يكون فيه قرآن ولا تسبيح ولا غيره : وأما من كان في جوفه القرآن والشعر مع ذلك فليس ممن امتلأ جوفه شعرا . فهو خارج من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا يريه خير له من ان يمتلئ شعرا » (٤٠) . ولما سمعت عائشة رضي الله عنها هذا الحديث قالت أراد النبي صلى الله عليه وسلم بالشعر تلك الأشعار التي نظمت في هجائه (٤١) . وأيضا حمله الشافعي رحمه الله على الشعر المشتمل على الفحش روى نحوه عن عائشة رضي الله عنها أيضا (٤٢) .

وحمله الأكثرون على ما إذا غلب عليه الشعر وملك نفسه حتى اشتغل به عن دينه وإقامة فروضه ، ومنعه من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن والتفقه في الدين القيام بجميع مسؤولياته . ولذلك ذكر الامتلاء في الحديث . والحاصل أن المذموم امتلاء القلب من الشعر بحيث لا يتسع لغيره ويلتفت إليه . وليس في الخبر ذم إنشائه ولا إنشاده لحاجة شرعية ودينية وإلا لوقع التعارض بينه وبين الأخبار الصحيحة الدالة على حل ذلك وهي أكثر من أن تحصى وأبعد من أن تقبل التأويل كما لا يخفى (٤٣) .

وقد تبين لنا من هذه المناقشة أن الإسلام لا يحارب الشعر والفن مطلقا لذاته ، وإنما يحارب المنهج الذي سار عليه الشعر والفن ، وأن القرآن الكريم يهاجم شعراء المشركين الذين كانوا يهجون الرسول صلى الله عليه وسلم ويشبطون عن دعوته . فالقرآن الكريم لم يهاجم الشعر من حيث هو شعر ، وإنما هاجم شعرا كان يؤدي الله ورسوله × فاذا غلب الشعر على قلب أحد وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة الفرائض ، ومنعه من

ذكر الله وتلاوة القرآن الكريم وأداء جميع مسؤولياته ، فحينئذ لا يحب الإسلام الشعر والفن بل يذمها ذمًا شديدًا . وكل ذلك معناه أن الإسلام لم يكره الشعر إلا حين وقف معارضا لدعوته ومهينا لمجد الإنسان وكرامته . ولذلك كان الخلفاء الراشدون المهتدون بهدي الإسلام الحنيف ينهون عن الهجاء ويعاقبون فيه ، وقصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع الحطيئة معروفة ، فقد حبسه حين أقذع في هجائه للزبزان بن بدر (٤٤) . أما غير ذلك فقد كان يرتضيه ويستحسنه . فلو كان الشعر حراما أو مكروها ما اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم شعراء يشبههم على الشعر ويأمرهم بعمله ويسمعه منهم وما خلع على كعب بن زهير برده (٤٥) .

وأختتم هذه المقالة مستشهدا بقول الماوردي :

« الشعر في كلام العرب مستحب ومباح ومحظور : فالمستحب ما حذر من الدنيا ورغب في الآخرة ، وحث على مكارم الأخلاق ، والمباح ما سلم من فحش وكذب ، والمحظور نوعان : كذب وفحش » (٤٦) .

هوامش

- (١) القرآن : سورة الشعراء ، الآية : ٢٢٤ ، ٢٢٦ .
- (٢) محمد علي الصابوني : « مختصر تفسير ابن كثير » المجلد الثاني ، الطبعة السابعة (منقحة) ١٤٠٢هـ ، ١٩٨١م ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ص ٦٦٣ ، ٦٦٤ .
- (٣) القرآن الكريم : سورة الحاقة ، الآية ٤١ .
- (٤) أيضا : سورة يس ، الآية ٦٩ .
- (٥) بدر الدين العيني : عمدة القارئ ، الجزء الرابع ، دار إحياء التراث العربي ، ص ٢٧١ ، ٢١٩ ، يقول العيني : رواه ابن أبي شيبة والبخاري والطحاوي .

- (٦) بدر الدين العيني : نفس المرجع ، ص ٢١٧ ، ٢١٩ ، يقول العيني : رواه مسلم وأخرجه ابن ماجه ، وأخرجه البخاري عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو رواية ابن أبي شيبة ، وأخرجه مسلم أيضا عن أبي هريرة نحو روايته عن سعد ، وأخرجه أيضا عن أبي سعيد الخدري ، وأخرجه الطحاوي ، أيضا عن عوف بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخرجه الطبراني أيضا ، عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم .
- (٧) أخرجه الامام احمد في المسند ، كما في مختصر تفسير ابن كثير ، المجلد الثاني ، ص ٦٦٣ ، ورواه مسلم كما في مشكوة المصابيح ، ص ٤١١ .
- (٨) رواه البخاري ومسلم . كذا في مشكوة المصابيح ، ص ٤٠٩ ، ٤١٠ .
- (٩) أخرجه الامام أحمد ، كما في مختصر تفسير ابن كثير ، المجلد الثاني ، ص ٦٦٤ .
- (١٠) أخرجه أبو داود من حديث ابي بن كعب وابن عباس رضي الله عنهما كما في مختصر تفسير ابن كثير ، المجلد الثالث ، ص ١٧٠ ، كذا في مشكاة المصابيح ، ص ٤١٠ .
- (١١) الشيخ ولي الدين الخطيب : مشكاة المصابيح ، ص ٤٠٩ ، (ورواهما البخاري) .
- (١٢) ولي الدين الخطيب : مشكاة المصابيح ، باكستان ، ص ٤٠٩ ، (متفق عليه) .
- (١٣) ولي الدين الخطيب : المرجع السابق ، ص ٤٠٩ (متفق عليه) .
- ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل ومن الشعر ما فيه حكم ومواعظ ، كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية ، منهم (أمية بن أبي الصلت) الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آمن شعره وكفر قلبه » . وقد أنشد بعض الصحابة رضي الله عنهم للنبي صلى الله عليه وسلم مائة بيت يقول صلى الله عليه وسلم عقب كل بيت « هبة » ، يعني استطعمه فيزيده من ذلك راجع مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ،

- ص ١٧١ .
- (١٤) أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي ، الطبعة الخامسة والعشرون ، ص ٣٨ .
- (١٥) نفس المرجع : ص ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٥ .
- (١٦) سيد قطب : في ظلال القرآن ، الجزء التاسع عشر ، الطبعة الثالثة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ص ١١٩ ، ١٢١ .
- (١٧) محمود الألوسي البغدادي : روح المعاني ، الجزء التاسع عشر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ص ١٤٥ ، ١٤٨ ، الدكتور عبد الحسين : نقد أدبي ، ص ٣٩٧ ، تعليق ١ .
- (١٨) أبو علي الحسن بن رشيق : العمدة ، الجزء الأول ، باب الرد على من يكره الشعر ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٢ م ، بيروت ، ص ٣٢ .
- (١٩) أحمد حسن الزيات : المرجع السابق ، ص ١٠٣ ، ١٥٢ .
- (٢٠) أبو علي الحسن بن رشيق : المرجع السابق ، ص ٥٣ .
- (٢١) نفس المرجع : ص ٢٧ ، ٢٨ .
- (٢٢) نفس المرجع .
- (٢٣) أبو علي الحسن بن رشيق : المرجع السابق ، ص ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، محمود الألوسي البغدادي ، المصدر السابق ، ص ١٥٠ .
- (٢٤) محمود الألوسي البغدادي : المصدر السابق ، ص ١٥٠ .
- (٢٥) نفس المرجع ، ص ١٥٠ ، ابن رشيق : المصدر السابق ، ص ٢٦ .
- (٢٦) ابن رشيق : المصدر السابق ، ص ٢٦ .
- (٢٧) نفس المرجع ، ص ٢٦ .
- (٢٨) نفس المرجع ، ص ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ .
- (٢٩) شيخ ولي الدين الخطيب : المرجع السابق ، ص ٤١١ ، حسن الصحابة ، المجلد الأول ، ص ١٢ .
- (٣٠) محمد علي الصابوني : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، ص ١٦٩ .

- (٣١) نفس المرجع: ذكره ابن أبي حاتم عن الحسن البصري ، وأيضاً محمد علي :
« دي هولتي قرآن (بالانكليزية) » ص ٨٦٠ ، الأغاني ، الجزء الثالث
عشر ، ص ٦٨ ، كما في « تاريخ الأدب العربي » بالبنغالية) للأستاذ أ .
ت . م مصلح الدين ، الطبعة الثانية ، المؤسسة الإسلامية بنغلاديش ، دাকা ،
سنة ١٩٨٦ م .
- (٣٢) محمد علي الصابوني : المصدر السابق ، ص ١٦٩ ، أخرجه الإمام أحمد
والنسائي والترمذي ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .
- (٣٣) محمد علي الصابوني : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، ١٦٩ .
- (٣٤) نفس المرجع : ص ١٦٩ ، ١٧٠ .
- (٣٥) آر ، أيه ، نيكلسون : تاريخ الأدب للعرب (الانكليزية) ، كيمبردج ،
١٩٥٣ م ، ص ١٥٩ .
- (٣٦) القرآن الكريم : سورة الحاقة ، الآية : ٤٠ ، ٤٣ .
- (٣٧) محمود الألوسي : المصدر السابق ، ص ١٤٩ .
- (٣٨) محمد علي الصابوني : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، ص ٤٤٥ .
- (٣٩) وللإمام الشافعي رحمه الله ديوان كبير في الشعر وما روي عنه من قوله :
« ولو لا الشعر بالعلماء يزرى
لكنت اليوم أشعر من لييد »
محمول على نحو ما حمل الأكثرون الخبر عليه ، وإلا فما قاله شعر (روح
المعاني) ص ١٥٢ .
- (٤٠) بدر الدين العيني : المرجع السابق ، ص ٢١٩ .
- (٤١) حسن الصحابة : المجلد الأول ، ص ١٥ .
- (٤٢) محمود الألوسي : المصدر السابق ، ص ١٥٠ .
- (٤٣) نفس المصدر .
- (٤٤) الدكتور شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، المجلد الثاني ، الطبعة الثامنة ،
دار المعارف ، ص ٤٥ ..
- (٤٥) نفس المصدر : ص ٤٤ .
- (٤٦) محمود الألوسي : المصدر السابق ، ص ١٥٠ .